

## الفصل الخامس

### الحركة السنوسية

تنسب هذه الحركة الى السنوسى الكبير . وهو محمد بن على السنوسى ،  
الخطابى ، الادريسي (1) . والمرح الزمنى لهذه الحركة هو النصف الاول  
من القرن التاسع عشر .

ولد فى قرية « الواسطة » بالقرب من بلدة مستغانم فى الجزائر .  
ويتهى نسبه الى الحسن السبط ، ابن على بن ابي طالب ، وفاطمة بنت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما ينتسب الى الأدارسة ، التى  
أسس أدريس الأكبر دولة لهم فى مدينة « ولىلى » بالمغرب سنة ١٧٣ هـ  
( فى القرن الثامن الميلادى ) . ثم انتقل مركزها بعد ذلك الى مدينة « فاس »  
العاصمة الجديدة . ومن هنا يلقب بالادريسي .

كما أخذ لقبه « الخطابى » من جده « خطاب بن على بن يحيى » .  
وأخذ لقبه السنوسى من جده « السنوسى بن العربى » الذى أخذه بدوره  
من قبيلة بنى « سنوسى » احدى قبائل تلمسان بالجزائر ، التى نزلت بجبل  
يسمى « سنوس » هناك بالجزائر . ومازالت تعرف عائلة السنوسى  
الكبير فى الجزائر حتى الآن بعائلة « الأطرش » .

وهو من عائلة عرفت بالعلم . ويرجع الى عمته ، السيدة فاطمة ،  
الفضل فى تنشئته الدينية والعلمية ، بعد أن توفى والده فى سن الخامسة  
والعشرين وبقي هو فى كف عمته . ويقال : انه كان لها شغف علمى ،  
وانها انقطعت للدرس والتدريس ، والوعظ والارشاد . كما يقال : انه كان  
يتردد على مجالسها كثير من الرجال .

(1) عاش بين سنتى ١٢٠٢ — ١٢٧٦ هـ ( ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٨٧ —

٧ سبتمبر سنة ١٨٥٦ م ) وتوفى فى الجفوب .

وقد التحق ، وهو في سن صغير ، بأحد معاهد بلدة « مازون » بالجزائر ، ثم ذهب الى مدينة « فاس » للالتحاق بجامع القرويين . . . وقد اشترك في تأسيسه أحد اجداده . ويعتبر مركز العلوم الاسلامية في هذا المحيط ، ويشبه الأزهر بمصر الى حد كبير . وهو ، وجامع الزيتونة يمثلان مقمر الدراسات الدينية والعربية في شمال افريقيا .

وتلّمذ في هذا الجامع على سيدي محمد القندوز . وكان معروفنا باعتقاده برأيه ، وابتعاده عن طلاب الزلفى لدى الحكام . وقد أعدمه الحاكم التركي للجزائر ، حسن بك ، سنة ١٨٢٩م تخلصا منه ومن أعوانه ممن كانوا يسمون : « الاخوان » .

وهناك في جامع القرويين درس السنوسى الكبير فقه المالكية . وبعد ان أجزى تمام بالتدريس فيه فترة من الوقت . ثم في نفس الوقت تتلمذ في التصوف في زاوية « عين مهدى » على الشيخ أحمد بن محمد التيجانى (١) ، صاحب الطريقة التيجانية ، والذي أسسها في آخر القرن الثامن عشر في بلاد الجزائر . والى هذه الطريقة يرجع الفضل في نشر الاسلام في افريقيا الغربية .

وهذه الطريقة متفرعة عن الطريقة الخلواتية ، التى ظهرت للوجود في القرن الرابع عشر الميلادى (٢) . والطريقة الخلواتية هى احدى الطرق الصوفية الثلاث الكبرى في افريقيا « الادارية » — نسبة الى مدار خط الاستواء — والطريقتان الأخرى : القادرية ، والشاذلية .

والقادرية نسبة الى السيد محمد بن عبد القادر الجيلانى ، الذى ولد في جوار بغداد (٣) ، ودخلت طريقته بلاد المغرب في القرن الخامس عشر الميلادى على ايدي مهاجرى واحة توات في جنوب الجزائر . والشاذلية ترجع الى مؤسسها أبى الحسن على بن عبد الله الشاذلى (٤) .

- 
- (١) عاش بين سنتى ( ١٧٣٧ — ١٨١٤ م ) .
  - (٢) نسبة الى السيد / محمد الخلواتى .
  - (٣) ولد سنة ٤٧٠ هـ ( ١٠٧٧ م ) وتوفى سنة ٥٦١ هـ ( ١١٦٦ م ) .
  - (٤) عاش بين سنتى ( ٥٥٣ — ٦٥٦ هـ ) .

وفي أثناء إقامته بفاس ، التي تبلغ سبع سنوات من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٧ م ، كان حريصا على زيارة الزاوية ، والاجتماع بالاخوان .

وفي سن الثلاثين من عمره ترك السنوسي الكبير مدينة فاس ، قاصدا مكة لأداء فريضة الحج . فسلك طريقه في جنوب الجزائر الى مدينة « قبايس » بقونس ، ثم الى مدينة طرابلس ، فمصراته ، فبنى غازي . . . فالقاهرة . . . فالحجاز .

وهناك بالحجاز أقام ست سنوات ، درس خلالها الفقه الاسلامي على علماء مكة ، وتعرف أحوال المسلمين عن طريق اتصاله بالحجاج في موسم الحج ، ثم عاد الى الجزائر ، حوالي سنة ١٨٢٥ م ، وبقي هناك حتى سنة ١٨٣٣م أي بعد الحملة الفرنسية على الجزائر بثلاث سنوات .

وذهب بعد ذلك مرة ثانية الى الحجاز ، وأقام بمكة ثمانى سنوات أخرى ، واطب فيها أيضا على الدرس .

ومن العلماء الذين اتصل بهم هناك :

السيد أحمد بن ادريس الفاسي (١) ، الرئيس الرابع للطريقة « القادرية المراكشية » وتجاوب معه علميا وروحيا ، وصحبه في رحلته الى اليمن ، بعد أن ضايقهم علماء مكة . وكان معهما في هذه الرحلة السيد محمد عثمان الميرافني ، أحد تلاميذ السيد أحمد بن ادريس الفاسي أيضا . ومؤسس الطريقة الميرافنية في السودان . وهناك أقاموا جميعا باليمن ثلاث سنوات .

وبعد أن توفي أستاذه باليمن ، عاد السيد السنوسي الكبير الى الحجاز . وهناك أسس « زاوية » جبل أبي قبيس . وبعد أن انشأها ، والتف الناس حوله ، خشى رجال الحكم العثماني من حركته هذه ، متأثرين في ذلك بما لاتوره من مقاومة سابقة من رجال الحركة الوهابية .

وانضم الى هؤلاء الرجال الرسميين علماء مكة ، وأشرفها ، حرصا على مكانتهم ومنزلتهم . كما انضموا اليهم من قبل في مقاومة الحركة الوهابية

---

(١) توفي في اليمن سنة ١٨٤٣م .

للسبب نفسه . فوجد نفسه مضطرا الى ترك الحجاز ، فتركه سنة ١٨٤٥م ، وسعه بعض أتباعه متجها الى القاهرة وأقام فيها بضعة أشهر . ولكن لم تطب له الإقامة مدة أطول من ذلك ، لما لمسسه من معارضة رجال الأزهر له ، ولتفكيره وطريقته في فهم الإسلام فوصل الى واحة « سيوة » ، ومكث فيها فترة ، ووضع بذور الدعوة السنوسية . ثم رحل منها الى طرابلس الغرب قاصدا الى الجزائر .

ولكن في رحلته من طرابلس الى مدينة « فابيس » بتونس بلغه أن الفرنسيين استولوا على الجزائر كلها ، وكادت المقاومة الشعبية فيها أن تنتهي . فعاد الى طرابلس ، ثم منها الى برقة ، وانتهى به المقام في مدينة بنى غازى في ليبيا .

ثم عاد مرة ثالثة الى مكة في سنة ١٨٤٦ م . ولم يلبث أن رجع الى برقة سنة ١٨٥٣م وأسس على حافة الجبل الأخضر ، من ناحية الجنوب ، زاوية « العزيمات » . ثم بعد أن أقام فيها مدة انتقل الى الجغبوب في الجنوب ، التي تبعد مائة وستين كيلومترا عن ساحل البحر الأبيض المتوسط وأسس بها زاوية الجغبوب سنة ١٨٥٦م .

وتعتبر جغبوب ملتقى لحجاج شمال أفريقيا عبر الأراضى المصرية وملتقى القوافل التجارية بين الصحراء الكبرى والسودان ، ووسط أفريقيا جنوبا وساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا ، كما تعتبر زاوية هذه المحلة الزاوية النموذجية للحركة السنوسية من الوجهة الفكرية والنظرية والتطبيق العملى معا .

أما زاوية « الكفرة » التي تبعد نحو سبعماية كيلومترا من ساحل البحر الأبيض المتوسط الى الجنوب فقد شيدت في عهد خليفة السنوسى الكبير : السيد محمد المهدي .

والمدة التي أقامها السنوسى الكبير في ليبيا ، ونشر فيها مذهبه ، تترب من عشر سنوات . وفي هذه المدة أسس فيها إحدى وعشرين زاوية . وأشهرها :

زاوية البيضاء وسط الجبل الأخضر ، حيث يوجد قبر الصحابي رافع الأنصاري ،

والجفوب ،

وواحة الفقه في غزان ،

ومزدة في جنوب طرابلس .

وقد اختيرت مواقع هذه الزوايا بحيث تعتبر مراكز على الحدود الليبية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، مركزا للثقافة والتحصين ... وغير ذلك من الأهداف التي تتصل بفرض الزاوية ، كما سيأتي .

### عوامل الحركة السنوسية :

والسنوسى الكبير ألم بآثرات الإسلامى فى جامع القرويين ، بعد أن حفظ القرآن الكريم فى موطن ميلاده . وتمرف على الزاوية وأهدافها للطرق السوفية فى الجزائر ، ومارس مع رجالها نشاط هذه الزاوية ثم وقف على أحوال العالم الإسلامى فى تردده على مكة عدة مرات . كما أدرك موقف المسلمين عامة من غزو الجزائر على يد الفرنسيين الصليبيين ، هؤلاء الحاقدين على المسلمين لأنهم مسلمون ، ولتمسكهم بدينهم ثم على ما ملكت أيديهم من ثروات عديدة .

ويمكن أن نلخص أحوال العالم الإسلامى على نحو ما تآثر بها السنوسى الكبير فيما يلى :

✽ ضعف حال المسلمين ضعفا اقتصاديا ، وخلقيا ، ودينيا ، واجتماعيا :

( أ ) فالمستوى الاقتصادى لحياتهم متواضع ، أو ضعيف .

( ب ) ويغلب على سلوكهم الخلقى عدم الثقة بالنفس ، وعدم رعاية حرمة الغير .

( ج ) وفههم للدين يقوم على أنه دعوة للتواكل ، وأنه جملة من العادات والتقاليد التى من شأنها أن تحجب رسالة الله للإنسان فى حقيقتها ، وأنه مذهب امام ، أو طريئة شيخ ، أو حرفة دجال أو منجم .

( د ) وجماعتهم منككة ، ووعيم الاجتماعى يكاد يعدم ، والعصبية الطائفية طغت على روح الجماعة العامة ، والخصومة بين الطوائف تأخذ من تفكير المسلمين ونشاطهم أكثر مما يندحونه للسعى فى الحياة ، لخير أنفسهم وجماعتهم .

✽ ضغط العالم المسيحى على المسلمين ، لا لاستغلاله اقتصاديا فحسب بل لممارسة « الحروب الصليبية » فى صورة أخرى على نحو ما عرف من احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ م ومعاملة السلطة الفرنسية المسلمين هناك معاملة تقوم على اذلالهم ، وتجريدهم من مقومات شخصتهم العامة .

✽ ضعف المركز الرئيسى للسلطة الاسلامية العليا وهى الخلافة العثمانية عن مقاومة الضعف الداخلى ، وعن حماية البلاد الاسلامية من الاعتداء الخارجى عليها .

هذه الحال للعالم الاسلامى ، مع تنشئته النهضة الاسلامية : النظرية والعمالية معا ، ومع اتصاله فى هذه النهضة بعلماء لهم تاريخ مجيد فى التضحية والايان مثل : السيد محمد بن القنذور ، والسيد العربى بن احمد الدرقاوى من اشياخ الطريقة الشاذلية ، والسيد احمد بن محمد التيجانى أنصرفى الكبير — خلقت منه زعيما لحركة اسلامية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر تتميز عن الحركتين الاسلاميتين قبلها وهما : حركة ابن تيمية ، وحركة محمد ابن عبد الوهاب ، وان اشتركت معهما فى الأسس والغاية ، وتأثرت بهن الظروف والعوامل التى تأثرت بها هاتان الحركتان .

فالعوامل التى أحاطت بهؤسس الحركة السنوسية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر هى نفسها التى أحاطت بابن تيمية فى القرن الرابع عشر قبله ، وهى نفسها لم تتبدل فى وقت محمد بن عبد الوهاب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر :

✽ إذ الشعور بضعف المسلمين بسبب الفرقة المذهبية وبسبب التوجيه المنحرف غير الاسلامى ، والشعور بضعف السلطة الاسلامية العامة — كما كان الحال فى بغداد على عهد ابن تيمية ، وكما كان فى القسطنطينية على عهد محمد بن عبد الوهاب ، ومحمد بن على السنوسى الكبير — كان واضحا:

في محيط هؤلاء الدعاة جميعا . وهو شيء غير مستور يفتش عنه ، بل شيء يواجه القارىء للتاريخ الاسلامى في كل عصر من هذه العصور مواجهة واضحة قوية .

✽ أما الشعور بضغط العالم غير الاسلامى على العالم الاسلامى فهو كما سبق يتمثل في عهد ابن تيمية في هجوم التتار وهجوم الصليبيين منذ آخر القرن الحسادى عشر الى قرب نهاية القرن الثالث عشر ، وفي عهد ابن عبد الوهاب ومحمد بن على السنوسى بدا يتمثل في هجوم الاستعمار الغربى على رقعة العالم الاسلامى ، في مكان اثر مكان ،

ولهذا سنرى أن ما يؤثر من آراء السنوسى ، وما يؤثر لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب بعده ، ويعرف أيضا لمحمد بن على ، مما يعتبر جميعه رد فعل لعوامل واحدة ، وفي الوقت نفسه علاجا لحال متشابهة .

ولكن اذا كان هؤلاء الثلاثة اشتركوا في التأثير بعوامل واحدة ، وكانت دعوتهم صدى لها — فانهم يفترون فيها بينهم بالسبيل الذى سلكه كل واحد منهم في تحقيق الدعوة . والفرق في هذا السبيل قد يكون :

في الفرق بين استعمال الشدة والضعف ؛ أو سلوك اللين والافتناع ، وقد يرجع الى تخر جانب من جوانب الآراء ، وتقديم هذا الجانب على غيره في التطبيق والتنفيذ مراعاة للظروف والأحوال التى تحيط بصاحب الدعوة .

فقد اشتد ابن تيمية وقسا في طلب تحقيق آرائه ، وأراد أن يحقتها دفعة واحدة . فخاصم الجميع وحاربهم . ومن أجل ذلك رمى بحق أو بغير حق ، بالخروج عن الجماعة الاسلامية ، على نحو ما رمى هو خصومه .

ومحمد بن عبد الوهاب اتبع نفس الأسلوب : ولحقته نفس النتائج التى لحقت أسقاده ابن تيمية من قبل .

أما السنوسى الكبير فأثر مهادنة السلطة الاسلامية المركزية كما يأتى . وهادن الصوفية كما يرد في كتابه : « السلسبيل المعين في الطرائق

الأربعين » . وتخبر من بين هذه الطرق طريقة خاصة به . وانتفع بأسلوبهم في الاجتماع والانتقاء بالمريدين والأتباع ، واستخدم أسلوب الإقناع والأودة ، كما يتضح في كتابه : « إيقاظ الوجدان » . وعنى بالمودة والمعونة وتجنب التسوية والعنف : بدا ذلك في « زاويته » التي اتخذ منها ومن نشاطها تحقيق التعاون والمحبة بين الجميع . وقد آثر أن يكون أمة لا دولة ، وأن يكون مريداً لا حاكماً ، وأن يكون أخاً لا سيدياً .

**وتاريخه هو تاريخ أمته وحركته ،**

**ومنهج في حياته هو صراطه وطريقته ،**

**وتفكيره هو تحكيم كتاب الله .**

ولم يعن في حياته بما يقال عن شخصه بين أتباعه . وهو لهذا لا يهتم بما توصف أو تسمى به حركته ومذهبه بعد مماته . فقد اهتم بشيء واحد : أن يكون مسلماً ، وأن يكون أتباعه مسلمين أعزاء على أنفسهم ، كرماء على غيرهم .

وسنرى أيضاً أن هذه الحركة السنوسية تتميز عن الحركتين السابقتين عليها ، بأنها رأت في شخص الداعي الإمام في الدعوة ، وصاحب الحق في الفصل في الخصومات بين الأتباع ، وفي فرض الضرائب والمكوس . وبذلك تفاننت الأزواج الذي صحب الحركة الوهابية ، وأزالت الثنائية بين رجال الدعوة ورجال السلطة المشرفة على تنفيذ مبادئ الدعوة ، كما تفادت معاداة السلطة القائمة ، على عهد ابن تيمية ، لآرائه وتفكيره .

ثم تتميز أيضاً بأنها زوجت بين الآراء النظرية والتطبيق العملي لها في حياة « الزاوية » ، وأخذت أتباعها بالترويض على صفاء النفوس ، بجانب صقل عقولهم بثقافة القرآن وتعاليم السنة الصحيحة : وبهذا بحق أن تعد هذه الحركة دستوراً لحياة أفرته وآمنت به .

## **١ - تعاليم السنوسية :**

للسنوسى الكبير ثلاثة كتب يمكن أن تصور الأسس التي قامت عليها الحركة السنوسية .

فى كتاب : « ايقاظ الوسنان » تحدث فيه :

**أولاً :** عن وجوب الرجوع الى القرآن والسنة ،

**وثانياً :** وعن بيان أن : دلالة الكتاب والسنة واحدة ،

**وثالثاً :** وعن وجوب اتباعها ، وتقديهما على رأى كل مجتهد ،

**ورابعاً :** عن رأيه فى العمل بالحديث ، وفى رأى الفقهاء ، والمحدثين ،

والأصوليين فيه ،

**وخامساً :** عن القول بالاجتهاد ، ورده على ذلك الزعم القائل : إن

الاجتهاد قد انتطع بالاجماع ،

**وسائساً :** عن نعية على التقاليد ، ومما يقوله فيه :

« . لايجب انحصار التقليد فى الأئمة الأربعة ، رضى الله عنهم ، لانه لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة ، فيقلده دون غيره . بل لايصح للعامى مذهب . وأو سلم لم يلزمه ، ولا أحد من الخلق قط ، أن يتمذهب بـرجل من الأئمة بأخذ أقواله كلها ، ويدع أقوال غيره كلها .

« وهذه بدعة قبيحة حدثت فى الأمة ، لم يقل بها أحد من أئمة الاسلام ، فيأله العجب ؟ ماتت مذاهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومذاهب التابعين وتابعيهم ، وسائر الاسلام ، وبطلت جملة الا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين الأئمة والفقهاء . وهل بذلك قال أحد الأئمة ، أو دعا اليه ؟ أو دلت لفظه واحدة من كلامه عليه ؟ . والذى أوجبه الله ورسوله على الصحابة والتابعين هو الذى أوجبه على من بعدهم .. الى يوم القيامة ، لا يختلف الواجب ولا يتبدل ، وان اختلفت كفيته ، أو قدره ، باختلاف القدرة والعجز ، والزمان والمكان ، والحال . فذلك — أبداً — تابع لما أوجب الله » (1) .

وفى كتاب : « المسائل العشر » — وهو المعروف بكتاب « بغية المقاصد

وخلصا المراد » — يذكر :

(1) كتاب السنوسية دين ودولة للأستاذ محمد فؤاد شكرى ، ص ٣ .

**أولاً :** ان هدى الأئمة الراشدين في الفتوى ، والمذاهب ، والقضاء ،  
هو لفهم المسلمين في القرآن والسنة ،

**وثانياً :** أن السلوك الخلقى السليم هو الذى يتأيد بالكتاب والسنة ،

**وثالثاً :** يتكلم مرة أخرى عن الاجتهاد والتقليد والفرق بينهما وبين أنواع  
الاجتهاد والمجتهدين ، وأبطل الزام انحصار التقليد في المذاهب الأربعة على  
عكس محمد بن عبد الوهاب في التزامه مذهب أحمد بن حنبل ،

**ورابعاً :** ثم يكرر مرة أخرى رأيه في كلام المحدثين ، والأصوليين ،  
والفقهاء في العمل بالحديث وتفرقهم فيه .

وفي كتاب « السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين » — وهو على  
هامش كتاب « المسائل العشر » — تحدث مؤسس السنوسية عن الطرق  
الصوفية ووصف الطريقة المثلثى . التى رضى بها ، والتى عرفت بنسبتها  
اليه ،

وهى طريقة تقوم على البساطة في التعبير وقت العظة ، وتستند في وصاياها  
الى آيات القرآن الكريم . وتذكر العظة ، وتقرنها بالآية القرآنية . وما في  
العظة هو معنى الآية مبسطا .

كما تقوم هذه الطريقة على دعوة التعاون ، والاخوة ، والقباسك .  
والاجتماعات التى تهيتها الطرق الأخرى للذكر والدعاء توجهها « الطريقة »  
السنوسية في عمل تعاونى كاطعام الفقراء ، واستقبال الوافدين ، وكرامتهم  
وتوجيههم نحو المحبة والصفاء .

وقد أبعده السنوسى الكبير من طريقته التى اختارها الحديث عن  
كرامات الأولياء ، وخوارق العادات ، وميزات « المتقدمين » و « المريرين » .  
واستعاض عن ذلك بالحديث عن « أحدية الله ، ورعايته لخالقه » .

وبذلك كانت طريقته تدريباً عملياً لتصفية النفوس ، ومحبة بعضها  
لبعض ، طبقاً لمنهج الإسلام المرسوم ، الذى لم يتغير بتأويل أو فهم ، تحت  
رغبة خاصة .

وميزتها أنها وجهت خصيصة الطرق الصوفية في الاجتماع الأسبوعي ، الى غاية عملية مثيرة ، لاشعوذة فيها ولا دجل . والحديث فيها هو الحديث عن الله جل شأنه ، ومن كتابه . لا يذكر فيها انسان آخر من شيوخ الطريقة ومقدميها . وموعد الاجتماع الأسبوعي حدد له الجمعة والاثنين من كل اسبوع .

## ٢ - الزوايا السنوسية :

والزاوية السنوسية هي الجانب الرئيسي الثاني في الحركة السنوسية . هي التطبيق العملي للفكرة الاصلاحية التي نادى بها محمد بن علي السنوسي الكبير .

والزاوية من الجهة المساحية : كانت تضم المؤسسات الآتية :

- ( ا ) مسجدا .
- ( ب ) ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .
- ( ج ) ومعهدا دينيا ، لتدريس العلوم الاسلامية لمن اتم حفظ القرآن ، يعد لالتهاق بالأزهر في المرحلة العالمية .
- ( د ) ومساكن للطلاب الغرباء . ويطلق عليها « خاوة » . وهي مقسمة حسب موطن الغرباء ، وكل قسم منها يسمى « رباطا » .
- ( هـ ) ومكتبة علمية .

وكان بزاوية جغبوب مكتبة تحتوى على ثمانية الف مجلد في الفقه الاسلامي والتاريخ ، وتفسير القرآن ، والأدب ، وعلم الفلك . وقد ضاعت هذه المكتبة بعد احتلال الطليان لواحة جغبوب في سنة ١٩٢٥ على اثر تنازل الحكومة المصرية عن هذه الواحة للحكومة الايطالية . تحت ضغط النفوذ البريطاني في مصر في عهد حكومة زيور باشا .

( و ) وبيوتا « للاخوان » تقام حول هذه المؤسسات لسكنى الاخوان ، وهم الاعوان والأساتذة .

( ز ) ومجلسا للضيوف . وهو مكان يعد لاستقبال الوافدين واقاباتهم فترة من الوقت .

وكل هذه الأبنية والمؤسسات يلتف حولها سور خارجي . به عدة أبواب .

وكما كانت تضم الزاوية جملة من المؤسسات على هذا النحو ، كان يلحق بها بعض الأراضي الصالحة للزراعة ، وبعض دور أخرى للمرضى والصناعة المهنية ، مما له اتصال بتيسير الإقامة للطلاب والأتباع .

ولذا كانت لانقاص الزاوية إلا في بقعة مختارة اختيارا دقيقا بحيث تسهل فيها الحياة ، وبحيث تؤدي فيها الرسالة لأكثر عدد من الرواد والمقيمين . فكانت لا تقام إلا بجوار الآبار ، وعلى الأطلال التي خلفها الرومان في الصحراء الغربية ، وفي المواضع الصالحة للزراعة . وفي المواقع الإستراتيجية ، كأن تكون في تقاطع عدة طرق ، أو ملتقى للقوافل ، أو قريبة من الحدود الليبية ، في اتصالها بمصر ، أو بتونس ، أو الجزائر ، أو السودان ، أو قلب الصحراء الكبرى .

وكانت زاوية جغبوب تعتبر النموذج للزاوية السنوسية ، في اختيار موقعها ، وفي عدد مؤسساتها ، وفي المشاركة العملية التي كانت تتم بين الطلاب وال الإخوان في الدرس أو في الحقل ، أو في دار المهنة والحرفة . وكان السنوسي الكبير في أثناء إقامته في جغبوب ، يشترك مع الطلاب في يوم الخميس من كل أسبوع ، في النشاط الذي يؤديه في الحقل . وكان يقصد بذلك أن يوحى إلى هؤلاء الطلاب بأن العمل من أجل العيش والحياة لا يقل شأنًا عن تعلم الدين والعلم .

والزاويا السنوسية تحولت عندما بدأ الغزو الإيطالي في ليبيا سنة ١٩١١ م — إلى مراكز للمقاومة . وأدت في خدمة الوطن الليبي مهمة جليلة . إذ بفضلها استمرت المقاومة الشعبية من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩١٨ م . ولم تنته المقاومة إلا بعد أن تألب الاستعمار الغربي في أفريقيا في صورة جماعة على إبادة البقية الباقية من أتباع الحركة السنوسية :

فسلمت إنجلترا جغبوب إلى إيطاليا باسم الحكومة المصرية ، ودخلت الجيوش الفرنسية واحة مزان باسم المحافظة على تونس . وباسم « الباي » هناك في تونس ،

وكان آخر عمل وحشى قام به الغزاة المستعمرون من الأوربيين ،  
للاجهاز على المقاومة الشعبية السنوسية الفاء السيد عمر المختار -  
من فواد الحركة السنوسية - من طائرة حلقت به فوق جمع كبير من الليبيين ،  
وقتل لوقتته ، وأراد الحاكم الايطالى « جراتزايانى » بذلك ان يثير الرعب  
فى قلوب الاحياء من الليبيين ، عندما أراد أن ينتقم بهذه الصورة البربرية  
من زعماء حركة المقاومة .

وبعد أن انتهت المقاومة الشعبية هناك فى ليبيا ، اتخذ الايطاليون  
الرسميون هذه الزوايا مراكز لتفتيت استعمارهم . فجعلوها نقطا للحراسة  
على الحدود . ولتتبع بقية الأتباع والاخوان ، وللاشراف على القوافل  
المارة وحركة التجارة العابرة ، بين ليبيا والبلاد المجاورة .

وكان للحركة السنوسية مجلس يسمى مجلس « الاخوان » وكان يتألف  
على عهد السنوسى الكبير . من :

- ١ - السيد أحمد الريفى ، من الجزائر .
- ٢ - والسيد على عبد المولى ، من سفاقس بفرنس .
- ٣ - والسيد عمران بن بركة الفيتورى ، من ليبيا الغربية .
- ٤ - والسيد محمد مصطفى المذنى ، من تلمسان بالجزائر .
- ٥ - والسيد محمد البكرى ، من واحة بسكرة بالجزائر .

وكانت مهمته مباشرة « الاعداد » فى الزوايا المختلفة والتوجيه حسب  
أصول الفكرة السنوسية .

أما رسالة الزوايا السنوسية فكانت تنتج انى خلق جيل من المسلمين  
يقسمهم بالتسامح فى علاقة بعضه ببعض . وبصفاء النفس من الاحقاد  
والضعائن ، وبالايمان بالله ، وبالحمية من أجل الله والوطن . كانت تحاول  
بناء جماعة قوية متساندة ولايغمر جانبها بالنسبة للعدو الخارجى ، ولاينترك  
فرد منها فردا آخر دون أن يعاونه ، ويكون له أخوا فى الشدة قبل اليسر .

ومن أجل توحيد الاشراف على حركة التوجيه فى المجاملات المختلفة كان

الأشخاص الذين يقومون بالتدريس ، هم أنفسهم الذين يقومون بالفصل في المنازعات ، وهم الذين يتولون أعمال البر ، وجباية الزكاة والضرائب الأخرى ، وهم الذين يتولون الوعظ في النادى ، والتبشير بالاسلام بين القوافل المارة . وكان للقبائل المجاورة في السكنى للزاوية فضل غير قليل في معاونة رجال الحركة السنوسية على القيام برسالة الزاوية . سواء في تمكينهم بالمساعدات المالية والعينية السخية ، أو في تأمينهم من الأحداث الفاجئة ضد سكان الزاوية من العرب الرحل والأغراب .

وقد أحالت الزاوية القرآن الكريم الى دستور عملى للمسلمين في حياتهم ، وجعلته مصدر تشريع وتوجيه ، وكتاب تلاوة للأذكار ، ومصدر خشية من الله ، بما فيه من قصص وعبر ، وبما فيه من حديث عن الجزاء ، والثواب والعقاب .

### السنوسى والخلافة العثمانية :

ولم تكن هناك دوافع لدى السنوسى الكبير لمعاداة الخلافة العثمانية في واقع الأمر . فلم يكن هو يطمح في الخلافة . ولا يسعى لمحاربة العثمانيين . بل على العكس : كان يرى المحافظة على الاستقرار في مركز الخلافة العثمانية ، في وقت اشتدت فيه عوامل الاضطراب ضد العالم الاسلامى ، وضد الخلافة العثمانية من الأوروبيين . وبالأخص بعد ما احتلت فرنسا الجزائر .

وربما كان لدى الحكام والولاة من الأتراك في ليبيا شىء من الحذر والاحتياط من حركة السنوسى ، أوجده الاحتكاك السابق من رجال الخلافة العثمانية برجال الحركة الوهابية . والحركة السنوسية قريبة الشبه في تفكيرها بحركة محمد بن عبد الوهاب .

ولكن هذا الاحتياط خف أثره ، بعد ماتبيين على ممر الزمن ، أن هدف هذه الدعوة :

هو العمل على استقرار الأمن الداخلى ، والتوجيه الروحى للسليم . ولذلك لم يجد الحكم في برقة هدوءا داخليا ، مثل ماوجده في العشر سنوات التى استقرت فيها الحركة السنوسية في زواياها هناك .

ومما يدل على حسن العلاقة بين السنوسى الكبير والخلافة العثمانية ، أن السلطان عبد المجيد الأول ، فى سنة ١٨٥٦ م ، منح السنوسية عهدا يعنى جميع أملاكها من دفع الضرائب ، وفى نفس الوقت يسمح لرئيسها بجمع الأعشار الدينية ، وهى « الزكاة » من أتباعها . وقد صدر فرمان هذه الإرادة السنوية من استنبول وحمله إلى برقة السيد عبد الرحيم المعبود « من أتباع السنوسى » .

وقد تأكد هذا الإعفاء مرة أخرى من جانب العثمانيين فى عهد السلطان عبد العزيز « شقيق السلطان السابق » ، عندما أحضر السيد أبو القاسم العيساوى فرمانا آخر من استنبول إلى والى طرابلس ، وفيه ما يؤيد استمرار هذا الامتياز . ويضيف إلى ذلك حرمة الزاوية السنوسية فى حدود الأراضى الخاصة بها .

ومهما خامر الأتراك الشك فى الحركة السنوسية ، فإنهم كانوا على اعتقاد بأن السنوسيين سيكونون أعوانهم فى حرب يخوضونها ضد الأوروبيين . وقد برهن الغزو الإيطالى على صحة هذا الاعتقاد .

ولكن يخلو للغربيين المسيحيين المستعمرين فى دراساتهم لهذه الحركات أن يوجدوا شقاقاتا بين السنوسيين والخلافة العثمانية . فيتحدثون عن جفوة بين الطرفين . أساسها رغبة السنوسى فى الاستقلال والملك من جانب ، وحبس الخلافة العثمانية من جانب آخر على الامبراطورية الاسلامية ، ولا يجد هؤلاء الدارسون مبررا لهذا الشقاق الا القياس على ما كان بين السلطة فى استنبول وأصحاب المذهب الوهابى فى نجد والحجاز من خلاف ، جرت إلى حرب أهلية بين الطرفين .

على أن هؤلاء الغربيين المستعمرين ، لمصالحتهم هم أنفسهم ، يعودون فيتحدثون عن الوثام التقليدى الذى كان بين السنوسيين فى ليبيا والخلافة العثمانية فى تركيا . ولكنهم لا يتحدثون عن ذلك الا عندما يرددون فى الوقت الحاضر الربط بين ليبيا من جانب وتركيا العثمانية من جانب آخر ، حتى يحولوا دهن الربط الأخرى بين الدين ، واللغة ، والجوار بين مصر وليبيا الشقيقة . وبذلك يسهل للاستعمار الغربى أن يذئف بقواعده الحربية فى ليبيا على رضاء السلطة الليبية والشعب الليبى . فانتقال تركيا العثمانية بليبيا ، عن طريق

تدريب الضباط الأتراك للجيش ، وعن طريق الربط الثقافي والاقتصادي بين البلدين ، من شأنه تقريب الاتجاه العلماني في الشرق الأوسط للرأي العام الليبي . إذ هذا الاتصال سيثير الربط التقني بين امام الحركة السنوسية والخلافة العثمانية فيما مضى ، ويتخذ وسيلة للتقريب بين سياسة البادين في الوقت الحاضر . لأن تركيا الحديثة ، التي تتنكر لكل حركة اسلامية وعربية ، هي عنران للوجود العلماني في الشرق الأدنى الاسلامي .

### طابع الحركة السنوسية :

✽ لم تكن السنوسية حركة قومية محصورة في قوم معينين . بل كانت حركة دينية عامة : في برقة ، وفي طرابلس ، وفي تونس ، وفي مراكش ، وفي مصر ، وفي الحجاز ، وفي السودان ، وفي غرب ووسط افريقيا .

✽ ولم تكن نشر فكرة ، بقدر ما عنيت بالفكرة من حيث : تطبيقها في الحياة العملية .

✽ ولم تكن دعوة للانقطاع الى العبادة . إنما كانت دعوة الى العبادة والسعي في الحياة معا .

✽ ولم تكن دعوة للاستسلام وللتواكل . بل كانت دعوة الى التوكل على الله ، واعداد الانسان بتعليمه الرماية ، واستخدام السلاح ، للدفاع عن النفس والوطن الاسلامي .

✽ واستفادت بطلاب الرجوع الى الكتاب والسنة في الاستشهاد بآياته في العظات والتوجيه الروحي .

وهدفت الى تصفية النفوس ،  
والى ربط الأفراد برباط روجي أخوي ،  
والى توجيههم نحو أمنهم في الداخل والخارج ،  
وقضت بينهم في الخصومات .  
وأخذت من غنيهم لتقيرهم .

• وأعطت من عالمهم لجاهلهم

وضربت بشيوخها المثل في الصفاء والزهد في الدنيا ، والتضحية في  
سبيل الهدف العام •

• وطالبت بالرجوع الى الكتاب والسنة •

وطالبت بممارسة الانسان عمله الفكري في الكتاب والسنة و «الاجتهاد»  
فيهما •

• وآمنت بأسلوب الاقناع ، وتجنب أسلوب العنف ولشدة •

وعملت على صيانة سلطان الخلافة العثمانية وصدت عمل الحلفاء  
العربيين •

\* فهل هي حركة روحية تسعى لتطهير النفوس ؟

\* وهل هي حركة فكرية تسعى لتوضيح المبادئ، وتستند الى المنطق  
الانساني في ذلك ؟

\* وهل هي حركة اجتماعية ، رأت في الزاوية خلق الوعي الاجتماعي  
وتأكيد جماعتها ؟

\* وهل هي حركة ثقافية تعليمية • تسعى الى تنوير اتباعها عن طريق  
المعسرة ؟

\* وهل هي حركة سياسية تهدف الى قيام بما تقوم به دولة نحو  
رعاياها في تأمينهم على حياتهم في الداخل بالفصل في الخصومات بينهم  
وتوجيههم نحو العمل من أجل العيش ، وفي الخارج باعدادهم للدفاع عن  
أنفسهم كجماعة وأفراد ؟

\* وهل هي صورة من حركة محمد بن عبد الوهاب ، اقتنع بها مؤسسها  
أثناء اقامته الطويلة بمكة لدراسة تعاليم الوهابية واصونها ؟

كل هذا يصح أن يقال •

وما يقال عندئذ له سند في تاريخ هذه الحركة •

ولكنها قبل كل شيء حركة اسلامية : تركزت في برقة ، وظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وكان لها أثر إيجابي في مقاومة الاستعمار الغربي ، وفي تأسيس الدولة الليبية الحديثة •

وإذا كنا نرى من زاوية التاريخ قيمة هذه الحركة في بناء جماعة اسلامية قوية تتحد في داخلها ومع بقية الجماعات الأخرى في الوطن الاسلامي • وتتكتل ضد الاستعمار الصليبي ، فانا نرغب في أمل أن يعود هذا التاريخ الماضي للسنوسية ، ويتطور في هذه الدولة الفنية الحديثة ، ليبيا المستقلة . وتصبح صنية غير طيبة في مواجهة الاستعمار الشرقي ، ومحررة من كل أثر للصليبية الأوروبية ، وللحاد الماركسي •

ان أخوف شيء الآن على ليبيا المعاصرة ، التي أسستها الحركة السنوسية الاسلامية ، أن تنحرف في تيار الماركسية اللينينية باسم « الثورة » أو باسم « الاشتراكية » وتنقلب رأسا على عقب من إيمان بالله الى كفر به ، ومن روحية معتدلة مستقيمة الى مادية طاغية ، وهي لم تمارس « الاستقلال » بعد ، ولم ينتهياً لأبنائها أن يقفوا على أقدامهم ثابتين في نظرتهم الى تيارات الاستعمار الجديد • وهي تيارات العقلية اليهودية العالمية باسم « الثورية » مرة ، وباسم « الليبرالية » مرة أخرى •

انه دعاء وأمل ، ولكن في خوف ووجل •

\*\*\*

# محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة :
٦	تمهيد : الفكر الاسلامى
<b>الفصل الأول</b> ( ١٦ - ٢٥ )	
١٦	تقييم الفكر الاسلامى فى مرحلته الاولى
١٧	الفكر الاسلامى فى جانب التفلسف
<b>الفصل الثانى</b> ( ٢٦ - ٣٢ )	
٢٦	اعادة بناء المجتمع الاسلامى
<b>الفصل الثالث</b> ( ٣٣ - ٦٩ )	
٣٣	ابن تيمية
٣٥	أسس الفقد عند ابن تيمية
٣٨	ابن تيمية والشيعة
٤٢	مع غلاة الشيعة
٤٥	تعاليم الاسماعيلية
٤٧	١ - فى جانب الله

٤٨	• • • • •	٢ - في جانب الوجود والعالم
٤٩	• • • • •	٣ - في جانب الانسان
٥٤	• • • • •	ابن تيمية وملاحدة الصوفية
٦١	• • • • •	ابن تيمية والفلاسفة
٦٣	• • • • •	ابن تيمية والمتكلمون
٦٤	• • • • •	ابن تيمية والفقهاء
٦٨	• • • • •	ابن تيمية والمفسرون وأهل الحديث

### الفصل الرابع

( ٧٠ - ٨٤ )

٧٠	• • • • •	محمد بن عبد الوهاب
٧٢	• • • • •	١ - الجانب السياسي
٧٤	• • • • •	٢ - الحركة الدينية الاصلاحية
٧٥	• • • • •	أسس الدعوة الوهابية
٧٩	• • • • •	التعليق على حركة محمد بن عبد الوهاب

### الفصل الخامس

( ٨٥ - ١٠٢ )

٨٥	• • • • •	الحركة السنوسية
٨٩	• • • • •	عوامل الحركة السنوسية
٩٢	• • • • •	١ - تعاليم السنوسية
٩٥	• • • • •	٢ - النزوايا السنوسية
٩٨	• • • • •	السنوسي والخلافة العثمانية
١٠٠	• • • • •	طابع الحركة السنوسية
١٠٣	• • • • •	محتويات الكتاب

رقم الايداع ٢٨٥٣ / ١٩٨١

الترقيم الدولي x - ١٣ - ٧٣٣٥ - ٩٧٧